الفن الجمالي في حضارة الأندلس

اعداد

قوعيش شريف

أستاذ باحث، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة مستغانم، الجزائر

Doi: 10.12816/jnal.2019.48206

الاستلام : ١٢/ ٧ /٢٠١٩ القبول : ١٥ / ٨ /٢٠١٩

المستَخلص :

يشكل موضوع الفن الجمالي في حضارة الأندلس من أهم المواضيع التاريخية العلمية الفنية التي ألقت استحسانا وقفزة نوعية في كتابة تاريخ الأندلس من الناحية الاجتماعية والثقافية، حيث تنوعت طبوع الحضارة الأندلسية من ناحية التنميق والتزويق والزخرفة بطريقة مدهشة تفوق الحضارات الأخرى، أو على غرار التواصل الحضاري للمجتمعات الشرقية، وقد اشتهرت الأندلس بالمنشآت المعمارية العظيمة، ويعد جامع قرطبة الذي بني في القرن الثاني للهجرة/ الثامن للميلاد، وبعض المباني في طليطلة من آثار الدور الأول لفن العمارة العربي في الأندلس، إضافة إلى أثار مدينة الزهراء التي شيدها عبد الرحمن الناصر، والغالب في هذا الطبع هو تعدد أشكال الزخرفة من قباب ومقرنصات وأبنية هندسية متعددة، كما لا ننسى الإبداع الفني الذي مس الخط العربي والكوفي والقرطبي والتي تزينت به معالم الكتب الدينية والتصوير الجداري.

الكلمات المفتاحية: الأندلس – قرطبة – الفن – الزخرفة .

Abstract:

The theme of the aesthetic art in the Andalusian civilization is one of the most important scientific historical subjects which has given a high quality and appreciation to the Andalusian history in social and cultural terms. The Andalusian civilization has varied in terms of excellence, Andalusia is known for its great architecture. The Cordoba Mosque, built in the second century of the 8th century AD, and some buildings in Toledo, were the first Arab architectural monuments in Andalusia .In addition to the effects of the city of Al-Zahra built by Abdul Rahman Al-Nasser, and most of the printing is the multiple forms of decoration of domes and

mornings and buildings of multiple engineering, and do not forget the artistic creativity that touched the Arabic calligraphy and kufi and Qurtubi, which adorned the features of religious books and murals

Key words : Andalus - Cordoba - Art - Decoration.

مقدمة:

يمثل الفن بصفة خاصة المرآة التي تعكس بنائه الداخلي والخارجي على مر الزمان، فهو أكثر الممارسات الإنسانية ارتباطا بالمشاعر والأحاسيس ومن ناحية أخرى بالعقل والقدرة على الابتكار المتجدد وكانت أعمال الفن الإسلامي تمثل نماذج فريدة ومتطورة تركت أثارها فيما بعد على الكثير من الثقافات وبصفة خاصة الثقافة الغربية في أوروبا ومن ثم الفن والتصميم باعتبارهما جزء من ثقافة الشعوب، والمتتبع للفن الإسلامي في مختلف البلدان التي آل إليها الحكم الإسلامي يجد وحدة قوية تربط عناصره في كل مجالاته المختلفة ، على الرغم من نشأته في مراكز ثقافية متعددة منها الشام ، العراق ، مصر، والأندلس، هذا الأخير الذي يمثل مركزا للإشعاع الفني والجمالي في مختلف مراحل الحكم الإسلامي .

وقد عرفت حضارة الأندلس خلال الحكام الأوائل طفرة في التنوع الثقافي، وتغيرا على مستوى الصنائع والبنيان والقمم التي زينت أرجاء القرى والشوارع ومختلف الأحياء المجاورة، وعن هذا التنوع يذكر ابن خلدون قائلا:" وهذا كالحال في الأندلس لهذا العهد، فانا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة، وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها، كالمباني والطبخ وأصناف الغناء واللهو من الآلات والأوتار والرقص الفرش في القصور، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء، وصوغ الانية من المعادن والخزف وجميع المواعين، وإقامة الولائم والأعراس، وسائر الصنائع، التي تدعو إلى الترف وعوائده، فنجدهم أقوم عليها وأبصر بها، ونجد صنائعها مستحكمة لديهم، فهم على حصة موفورة من ذلك، وحظ متميز بين جميع الأمصار، وان كان عمرانها قد تناقص، والكثير لا يساوي عمران غيرها من بلاد العدوة، وما ذاك إلا ما قدمناه من رسوخ الحضارة فيهم برسوخ الدولة الأموية وما قبلها من دولة القوط وما بعدها من دولة الطوائف الى هلم جرا، فبلغت الحضارة فيها مبلغا لم تبلغه قطر إلا ما ينقل عن العراق والشام ومصر لطول أماد الدول فيها، فاستحكمت فيها الصنائع، وشملت

جميع أصنافها على الاستجادة والتنسيق، وبقيت صبغتها ثابتة في ذلك العمران، ولا تفارقه إلى أن ينتقص بالكلية حال الصبغ إذا رسخ في الثوب"[١] .

وقد ذكر المقري في كتابه " نفح الطيب" أنه حدث هناك ركودا في الإنتاج الفني والجمالي لحضارة الأندلس في فترات زمنية متعددة، حيث انصرف ولاة الأندلس بعد الفتح الإسلامي عم الإنتاج والتعمير إلى مشاغل أخرى في مقدمتها التوسع وإخماد الفتن الداخلية التي بدأت بين البربر والعرب، التي تحولت إلى نزاع بين العرب البلدين والعرب الشاميين وانتهت بصراع مرير بين العصبيتين اليمنية والقيسية اجتاح البلاد الأندلس وعصف بها وتسبب في نوائب طحنتها وأطاحت باستقرارها أربعين عاما، إلى أن هيأ الله سبحانه وتعالى للأندلس أن تشهد عصرا من الاستقرار والطمأنينة، يبدأ بقيام الدولة الأموية على يدي عبد الرحمن بن معاوية الذي لقب بالداخل، فقامت معه اليمانية، واستولى على قرطبة دار الملك[٢]، وبالرغم من الفتن والاضطرابات التي مست الأندلس في كيانه، إلا انه لم يكن عليه عثرة طويلة على تطوير الفن والتباهي في جمالية الإسلام.

وأمام الاستقرار السياسي والاجتماعي، أضحت المدن الأندلسية تتطور وتتفنن مستغلة جوامع الفكر، والإنتاج العلمي، وكل ما له علاقة بالإسلام ومظاهره الفنية، والتي تجلت فيما يلي:

1- الجمال في المساجد والقصور:

لقد تجلت مظاهر الفن الجمالي في حضارة الأندلس على مستوى التنميق والنقش والنحت ولولبة مختلف أشكال القصور والمساجد والمنازل التي تزينت بهما المدن التالية:

أ- جامع قرطبة :

قرطبة قاعدة الدول الإسلامية بالأندلس، ومركز الفتوح والغزوات المختلفة، ومثوى الحركة العقلية الأندلسية، حيث لبثت زهاء ثلاث قرون، من الفتح إلى الحكم المرابطين والموحدين[٣]، تركت لنا أثارا مازالت قائمة حتى يومنا هذا، على رأسها الجامع الأكبر الذي يمثل مركزا للفن الأندلسي ومنبع للفنون بلاد المغرب، ولهذا نجد المرابطين قد قلدوا من بناءه وتخطيطه العام في بناء مسجد مدينة تلمسان، ونفس الشكل ينطبق على مساجد الموحدين، حيث بدأ بناء المسجد على أنقاض أحد الكنائس في عهد عبد الرحمن

[١] – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ج٤، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٢٧

[٢] - المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، د.ت، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦، صص٢١٠-٢١١

[٣] - عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال" دراسة تاريخية أثرية"، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧، ص١٨

الداخل الأموي، فجلب إليه الأعمدة الفخمة والرخام المموه، فأتمه ابنه هشام فأنشأ به المنارة الأولى، وزاد فيه عبد الرحمن الحكيم بهوين جديدين من ناحية القبلة، ثم جدده الأمير محمد عبد الرحمن، وأنشأ به مقصورة فخمة كانت الأولى من نوعها بمساجد الأندلس، وفي عهد ولده الأمير عبد الله أنشأ " الساباط" الموصل من القصر الى الجامع، وهو عبارة عن ممر مسقوف مبنى فوق عقد كبير[١]، وفي عهد عبد الرحمن الناصر تم تجديد واجهة الجامع وهدم منارته القديمة وأنشأ مكانها منارة جديدة مربعة الواجهات، ثم زاد ابنه الحكم المستنصر بناءا آخر وهو المحراب الثالث وفوقه قبة فخمة، زخرفت بفسيفساء بديعة، وأخيرا جاء المنصور ابن أبي عامر (الحاجب المنصور) فزاد فيه من ناحيته الشرقية زيادة كبيرة، وبنى مقصورات محاذية للجامع، وبالتالي أصبح المسجد واسعا يحتوي على ألفا وأربعمائة وسبعة عشر، وبلغت ثرياته مائتين وثمانين[٢].

ب- القصور :

لقد شيد الأندلسيين مجموعة من القصور في منتهى الأناقة والتزيين، نذكر منها قصر الرصافة هذا القصر الذي بناه عبد الرحمن بن معاوية سنة ١٣٨ه على بعد خمسة كيلومترات إلى الشمال الغربي من جامع قرطبة[٣]، إضافة إلى قصر الخلافة وقصر الزهراء وقصر المؤنس، فقصر الخلافة هو أول قصور الناصر في مدينة الزهراء، كان يضم مجلسين: الأول يدعى بالمجلس الشرقي المسمى بقصر المؤنس، والثاني المجلس الغربي ويسمى بالمجلس البديع أو مجلس الذهب أو مجلس الاجراء[٤]، أما بالنسبة لقصور الطوائف الذي ازدهر فيها فن البناء والتفنن فنجد دار "المزينية" كان قصرا ريفيا لبني عباد يحتوي على الأشجار والأزهار والبساتين، ذات الزهور العطرة والألوان الزاهية، وأما قصر طليطلة فقد أقامه المأمون بن ذي النون سنة ٤٥٥ه وصنع وسطه بحيرة تتوسطها قبة من الزجاج ملون ومنقوش بالذهب، وقد وصفها لنا ابن حيان في قوله" ولهذه الدار بحيرتان قد نصبت على أركانهما صور أسود مصوغة من الذهب الإبريز محكم الصياغة، تتخيل لتأملها كالحة الوجوه، فاغرة الشدوق، ينساب من أفواهها نحو بحيرتين هونا كرشيش القطر أو سحالة اللجين، وقد وضع في قعر كل بحيرة منها حوض بديع يسمى المذبح، محفور من بديع المرمر كبير الجرم، غريب الشكل بديع

---

[١] - سالم عبد العزيز، المغرب الكبير، ج٢، الإسكندرية، ١٩٦٠، صص٧٥١-٧٥٢

[٢] - عنان محمد عبد الله، المرجع السابق، ص٢١

[٣] - ابن الأبار، أبو عبد الله القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج١، القاهرة، ١٩٦٣، صص٣٧-٣٨

[٤] - ابن خاقان، أبو النصر الاشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسن يوسف خليوش، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٩، صص٠٩-١٠

النقش، قد برزت من جنباته صور حيوان وأطيار وأشجار"[٥]، فهذا الوصف يوحي إلى جمالية القصر وأناقته بين القصور، أما عن القصور المرابطين والموحدين فقد تطورت الأفنية والبناءات بشكل واسع نتيجة التأثيرات الخارجية، فنجد قصر "منتقوط" الذي اكتشفت بقاياه في سهل مرسية، على بعد نحو أربع كيلومترات إلى الشمال الشرقي من هذه المدينة، حيث يتوسط القصر بهو مستطيل الشكل يطل على جانبيه قصرين، ونفس الأمر نجده عند جامع القرويين بفاس، وفي بعض القصور أمراء بني مرين بمراكش، وقصر البحيرة الذي أمر أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ببنائه خارج باب جهور باشبيلية سنة ٥٦٧هـ.

أما عن قصور غرناطة فيختفي فيها نظام الأروقة العمودية، وتقتصر قاعة القصر على جدران تتخللها شمسيات توأمية معقودة تطل على منظر طبيعي، فتكسو الجدران بزخارف متعددة موزعة من أدنى الجدران إلى السقف تجعل من الجدران أبسطة منقوشة ومرقشة، فتكسوها تربيعات رائعة من الزليجي تعلوها تنميقات جصية من التوريق الذي تمتزج فيه كتابات كوفية أو نسخية تتشابك حروفها وتتعانق رؤوسها وتتضافر أبدانها فيما بينها وتختلط بالفروع الملتفة والأعصان المتموجة[١]، أما في عهد المرينيين ببلاد المغرب فكانت القصور على شاكلة الفن الأندلسي حيث نجد قصر الحاكم أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق متميزا، فهو يتألف من غرف واسعة ومجالس رسمية وغرف استقبال وتعلوه القباب الواسعة، أهمها قبة الرضا بإضافة إلى البرك ذات المراكب تحيط به البساتين المغروسة بالأشجار على اختلاف أنواعها، ونجد جدرانه مغطاة بالرخام والفسيفساء الملونة[٢]، وغير ذلك ما نستشفه أن العلاقات التي ربطت الأندلسيين وأهل المغرب أثرت بشكل كبير على الفن الجمالي للحضارة الإسلامية، وفي هذا المجال يذكر محمد بن عبد السلام السائح الأندلسي في قوله" ... جمال الأندلسيين في شكل العمارة ومهاراتهم في النحت والنقش والتنميق والزخرفة بالذهب والصبغ، وما يشاهد من فنون النقش على الرخام والجبس وأنواع التنميق بمدارس بني مرين بالمغرب

---

[٥] - ابن بسام، أبو الحسن الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م١، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨، صص١٠٢-١٠٤

[١] - سالم عبد العزيز، العمارة الاسلامية في الأندلس وتطورها، عالم الفكر، م٨، العدد ٠١، الكويت، ١٩٧٧، صص١٢٠-١٢١

[٢] - المنوني محمد، ورقات من حضارة المرينيين، د.ط، جامعة محمد الخامس، الرباط، ٢٠٠٠، ص٢٧، وينظر: لاتورنو روجيه، فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، د.ط، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧، صص٣٥

في فاس ومراكش وسلا وشالة، والقبور السعديين بمراكش، وهذا كله راجع للفن الأندلسي..."[٣].

٢ـ التشكيلات الأساسية للجوامع والقصور :

أـ العقود:

لقد ابتكر الأندلسيين نظاما جديدا في البناءات الخاصة بالجوامع والقصور والمتمثلة في نظام العقود التي اعتنى بها مهندسو المنطقة وبينوا التأثيرات الجمالية فيها باستخدام ما يسمى بالعقود الهوائية التي تنبت من الأذرع الطويلة لقرم التيجان، وتجلى جمال هذه العقود هو تلك الحلية البسيطة قوامها تناوب اللونيين الأحمر والأصفر الشاحب[٤]، ويعتبر جامع قرطبة أهم مثالا عن زينة العقود وترابطها، والنوع الذي غلب في حجم العقود لهذا الجامع هو العقد المقصوص أو المفصوص الذي يكون على نوعين:

ـ العقد متعدد الفصوص نصف الدائري ونشاهده في مدخل البلاط الأوسط من زيادة الحكم، وهو عقد منفوخ في تكوينه، ثم جزأت حلقته الى ٢١ فصا بارزا، كما نشاهده على أحد أبواب الواجهة الغربية لبيت الصلاة.

ـ العقد متعدد الفصوص المنكسر، وقد انتشر في زيادة حكم المنصور، وشاع استخدام العقد خماسي الفصوص، في حين ندر استخدام العقد ثلاثي الفصوص، بحيث اقتصر على القسم الأعلى من واجهة المحراب، وفي داخل جوفة المحراب نفسه، كذلك نشاهده في مسجد باب المردوم بطليطلة بأعلى الواجهة الشمالية الشرقية، وفي أثار مدينة الزهراء[١].

وحسب بروفنسال أن نظام العقود خلال عصر الإمارة والخلافة الأمويتين في الأندلس كان متأثرا تأثرا واضحا بالفن الإسلامي، فاستخدمت القعود فوق الأقواس على شكل حدوة حصان[٢]، ولم يكن العمل الفني الأندلسي حبيس نفسه بل امتد إلى التأثير في بعض الكنائس المسيحية، وهذا ما نجده عند جامع قرطبة مؤثرا في كنائس "جليقية" مثل

---

[٣]- Abbou(I.D), Musulmans-andalous et judou-espagnols, Casablanca, 1953, p77

[٤] ـ سالم عبد العزيز، مظاهر الأصالة في بنيان المسجد الجامع بقرطبة، من بحوث ندوة الحضارة الإسلامية بالإسكندرية، أكتوبر ١٩٧٦، ص١٤

[١] ـ سالم عبد العزيز، العمارة الإسلامية.....، ص١٠٩

[٢] ـ ليفي بروفنسال، الحضارة العربية باسبانيا، تحقيق: الطاهر احمد مكي، دار العالم العربي، ٢٠١٠، ص٢٥

كنيسة "سانتا جودي بنيالبا" و" سان مارتين ودي باتو"، حيث نرى العقد المتجاوز الذي يمتد الى ثلثي نصف القطر، كما أن توزيع سنجاته مركزي، وتلتف حوله طرة مربعة، هذا الى وجود نوافذ مزدوجة[٣].

أما خلال العصر المرابطين والموحدين وجدنا العقد المنفوخ المنكسر يسود جميع المباني الدينية والمدنية، ويتمثل ذلك في جامع القصبة الكبير باشبيلية، ومسجد كواتر وأبيتان بنواحي اشبيلية، وقصر السيد بقرطبة، وواجهة قصر الجص باشبيلية، وهو نفس الأمر نجده في قصور وجوامع سلاطين مدينة غرناطة خاصة قصر الحمراء[٤].

ب- القباب:

القبة هي بناء دائري المسقط مقعر من الداخل ومقبب من الخارج، والقبة هي أحد الأشكال الخاصة التي استخدمت في تغطية الكثير من المباني على مر العصور، ويرجح أن القباب استعملت لأول مرة في العالم القديم في بلاد ما بين النهرين والشرق الأدنى، وظهور الأقبية الرومانية والبيزنطية[٥]، وقد برع المسلمون في تشييد القباب الضخمة، ونجحوا في حساباتها المعقدة، التي تقوم علي طرق تحليل الإنشاءات القشرية (SHELLS)، وهذه الإنشاءات المعقدة والمتطورة من القباب مثل قبة الصخرة في بيت المقدس، وقباب مسجد الأستانة، والقاهرة والأندلس تعتمد اعتمادًا كُلِّيًا على الرياضيات المعَقَّدَة، وكانت هذه القباب تعطي شكلاً جماليًا رائعًا للمساجد، ويكفي أن تنظر إلى مسجد السلطان أحمد في إستانبول كمثال لهذا الجمال حتى تدرك عظمة الحضارة الإسلامية وكذلك مساجد الأندلس.

والقباب من أهم مظاهر تطور الحضارة الإسلامية في فن العمارة، فلقد تطوَّرَتْ كثيرًا، واتخذ تصميمها الهندسي أشكالاً مختلفة، ومن أمثلة ذلك قبَّة المسجد الجامع بالقيروان، ومسجد الزيتونة بتونس، والمسجد الجامع بقرطبة، وقد ظهرت آثار هذا التطور بوضوح في العمارة الأوربية خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين[١]، وتعتبر قباب قرطبة أقدم أمثلة للقباب ذات الضروع المتقاطعة، والى مهندس الحكم المستنصر يرجع الفضل بلا شك في هذا نوع من القباب الذي أحدث ثورة كبرى في العالم الوسيط، فمن قرطبة انتشر استخدام هذا نوع من القباب والقبوات في

---

[٣] - سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص٤٠٠

[٤] - سالم عبد العزيز، العمارة الإسلامية.....، صص١١٦-١١٨

[٥] - يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الكتاب الثاني، مكتبة مدبولي، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص٧٩

[١] - باشا أحمد فؤاد، التراث العلمي الإسلامي (الشيء من الماضي أم زاد للاتي)، ط١، سلسلة الفكر العربي للتنوير العلمي، مصر، ٢٠٠٢، صص٣٩-٤٦

المساجد الجامعة في المغرب والأندلس في عصر الطوائف وعصر دولتي المرابطين والموحدين، كما انتشر أيضا في كنائس اسبانيا المسيحية، كما انتشر استخدام القبوات ذات الضلوع المتقاطعة كحلية زخرفية في سائر منشات الأندلس الدينية والمدنية مثلما نجده في مسجد المردوم بطليطلة ومسجد الدباغين باشبيلية، ومصلى الجعفرية بسرقسطة، وفي بعض قاعات قصر اشبيلية[٢].

ج- المقرنصات :

المقرنص هو أحد العناصر العمارة الاسلامية المتميزة، ويشبه المقرنص الواحد محرابا صغيرا أو قطاعا طوليا منه وله أشكال متعددة، ولا يستعمل الا في مجموعة مدروسة التوزيع والتركيب متجاورة، حيث تبدو كل مجموعة منه وكأنها بيوت النحل في شكل كتل وخطوط متناغمة رياضية التصميم، متناهية في الدقة وتؤدي وظيفة معمارية محددة ودورا زخرفيا جماليا يتجاوز كل الحدود وكأنها منحوتات لها مدلول رمزي، ومعها لا تنتهي المساحات بل تصل بعض الجدران ببعضها وبالسقوف والقباب والشرفات في تلاحم لامتناهي وبهذا فهي تغطي السطوح الحادة الاطراف في الاركان وبين السقف والحائط وأسفل الشرفات وفي الماذن ورؤوس مداخل المنابر[٣]، وورد اسم المقرنص بالمقربص في المغرب الاسلامي أو "الدلايات" في مصر[٤]، وقد ظهر هذا النوع بشكل بارز في جامع تلمسان وبهو الاعلام باشبيلية في عصر المرابطين، وكذلك في جامع كتيبة بمراكش وجامع القرويين بفاس، أما في الاندلس لم نجده الا بجامع الموحدين باشبيلية، وانتشر كذلك في عصر بني الاحمر[٥].

د- الأعمدة والتيجان:

العمود هو ما يدعم به السقف أو الجدار، ولقد أخذ العمود عدة تسميات منها عمود في المشرق، وسارية في المغرب، وشمعة في لبنان، وقد تنوعت أشكال الأعمدة والتيجان في الفترة الإسلامية خاصة في الأندلس ما بين الشكل الدائري والمثمن والمستطيل، ونصف دائرة أو ثلاثة أرباع دائرة، وألصقت في الجدران للتدعيم والزخرفة، يتشكل العمود من القاعدة ثم البدن ثم التاج[١]، وتعتبر الأعمدة من أهم الأشياء التي تناولها الفن الإسلامي، وقد اتخذت تيجانًا وعقودًا مدبَّبَة، وروابط خشبية، حتى إنه

---

[٢] - سالم عبد العزيز، العمارة الإسلامية.....، صص١١٦-١١٩

[٣] - غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ط١، جروس بروس، بيروت، لبنان، ١٩٨٨، ص٣٩٧

[٤] - وزيري يحي، المرجع السابق، الكتاب الثاني، ص١٣٥

[٥] - سالم عبد العزيز، العمارة الإسلامية.....، ص١٢٠

[١] - وزيري يحي، المرجع السابق، الكتاب الثاني، ص٤٩

ظهر ما يُعْرَفُ بعلم عقود الأبنية، وقد أصبحت أقواس حدوة الفرس تدلُّ على الفنِّ المعماري الإسلامي، وإن وُجِدَتِ الأقواس قبلاً إلاَّ أنه قد تَغَيَّر شكلها على يد المسلمين[٢].

ه- المآذن:

عرفت المآذن عند أهل الأندلس وبلاد المغرب بالصوامع ذات الشكل المربع[٣]، وكان شكلها مزين فوقها هلال منتشرة في كافة الجوامع والمساجد الأندلس، خاصة في قرطبة التي اكتظت بالمساجد الصغيرة التي وصل عددها إلى ١٨٣٦مسجدا وفقا لرواية ابن حيان، أو ثلاثة حسب رواية ابن عذارى، حيث نجد أقدم مئذنة بقرطبة تعود الى الأمير عبد الرحمن الأوسط وهي البرج القائم الآن في كنيسة سان خوان، وجاء تخطيط هذه المئذنة من الداخل على شكل مستدير، إذ تتوسطها نواة مركزية أسطوانية يدور حولها درج لولبي، أما في الخارج فجدرانها من صفوف حجرية، بنيت بطريقة تعاقب الكتل الحجرية، ونفس البناء نجده في مئذنة ابن عدبس باشبيلية، والأخرى التي تحولت إلى برج نواقيس بكنيسة سانتياغو بالجانب الشرقي لقرطبة[٤]، أما في عصر الموحدين وجدت مآذن مختلفة منها مئذنة مسجد الكواتر، وأبيتان باشبيلية، ومئذنة المسجد الجامع الموحدي كذلك اشبيلية[٥].

٣- الجمال في الحمامات:

تعتبر الحمامات العامة من أهم المنشات المدنية في الإسلام لكثرتها وتعددها، وارتباطها الوثيق بأركان الإسلام، وقد تميزت مدينة قرطبة بكثرة حماماتها التي تصل إلى ٣٠٠حمام، وقد ذكر المقري أن عدد الحمامات في قرطبة وصل الى ٩١١حمام، كما انتشرت الحمامات في عهد الموحدين خاصة في فترة يوسف بن تاشفين، فقد بلغ عددها في مدينة فاس خلال عهد المرابطين ٢٠حماما[٦]، ثم ازداد حجمها في عصر الموحدين الى ثلاث وسبعين حماما، وانقسمت الحمامات الى قاعات متعددة منها قاعة رئيسية لخلع الملابس وفيه قبة تقوم على أعمدة، وهناك قاعتان أخريتان إحداهما للماء متوسط الحرارة والآخر للماء شديدة الحرارة، أما بناء السقف فيها كان على هيئة قبو اسطوانية،

---

[٢] - عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية، ..... ، ص ص٢٦٧-٢٦٩

[٣] - وزيري يحي، المرجع السابق، ص١٠١

[٤] - سالم عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧، صص٢٣-٢٤

[٥] - سالم عبد العزيز، العمارة الإسلامية.....، ص١٢٥

[٦] - سالم عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة الإسلامية، ج٢،.....، ص٢٥

فيه فتوحات صغيرة للتهوية[١]، والشيء الجميل في هذه الحمامات هو زخرفة شكلها وتزيينها واستعمال أنواع مختلفة من المنمنمات، وهندسة أشكالها .

٤- الفن الجمالي في اللباس:

كان لباس أهل الأندلس الغالب في الشتاء هو الملف المصبوغ المنسوج من الصوف، أما في الصيف فكانوا يرتدون الكتان والحرير والقطن والأردية الإفريقية والمقاطع التونسية، والمآزر والمرعزي المستخلص من شعر العنز، كما كانوا يلبسون غفائر الصوف حمراء وخضراء، أما الصفر فكانت مخصصة لليهود[٢]، وبالنسبة للباس الأبيض والذي كان يدعى بالملحفة استعمل في المغرب والأندلس، ويعني به الخمار أو المعطف التي تحجب به المرأة خارج البيت، أما نساء مدينة غرناطة فيصفهم ابن الخطيب" أن حريمهم حريم جميل، موصوف بالسحر وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، ونقاء الثغور، وطيب النشر، وخفة الحركات ونبل الكلام، وحسن المحاورة، إلا أن الطول يندر فيهن، وقد بلغن في التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصنفات والتنفيس بالذهبيات والديباجيات والتماجن في أشكال الحلي"[٣]، وعن لباس أهل الأندلس فهم لا يتعممون بل يتعهدون شعورهم بالتنظيف والحناء ما لم يغلب الشيب، ويتطيلسون إلا العامة فيلقون الطيلسان على الكتف أو الكتفين مطويًا طيًا ظريفًا، ويلبسون الثياب الرفيعة الملونة من الصوف والكتان، ونحو ذلك وأكثر لباسهم في الشتاء الجوخ وفي الصيف البياض، والمتعمم فيهم قليل[٤]، وعن أزياء أهل المغرب في العصر الإسلامي فكانت ملابس الرجال متكونة من الجبة، الملف، السروال، الغفارة، والمحشو، ومن ثيابهم ثوب رومي يسمى "الدرندين" يقي الإنسان من برد الشتاء[٥]، وقد ورد عن صاحب الروض الهتون بأن لباس المرابطين والموحدين كان من اللثم، والغفائر القرمزية، والعمائم ذوات الذؤابات[٦]، وكانت اللباس متنوعة بتنوع طبقات المجتمع، فنجد لباس

---

[١] - حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين"، ط١، كلية العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٠، ص٤٠٣

[٢] - المقري، أحمد بن محمد التلمساني، المصدر السابق، ج٣، صص٤٤٠-٤٤٢

[٣] - ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٣٩٥ه، ص٤٠

[٤] - العمري شهاب الدين أحمد بن يحي، مسالك الابصار في ممالك الأمصار، ج٤، إصدار فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، د.ت، صص٢٣١-

[٥] - أبو مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، د.ط، الناشر لمؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص٤٨

[٦] - ابن غازي، الروض الهنون في أخبار مكناسة الزيتون، تحيق: بن منصور عبد الوهاب، ط٣، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٩، ص١٩

العلماء منحصر في لباس الغفارة والطيلسان[١]، ولباس الزهاد جبة من الصوف[٢]، والمترفين لباس الحرير الموشاة بالذهب ذات صنائع غريبة[٣]، وكانت هذه الألبسة مزخرفة وجميلة تعكس رفاهية المجتمع الأندلسي وجمالية أذواقه الفنية.

٥- الفن الجمالي في الخط الأندلسي:

لقد أدخل الفاتحون المسلمون إلى الأندلس نوعين من الخط العربي، وهما الخط الحجازي أو المكي اللين، والخط الكوفي اليابس، وعند استقرار المسلمون في القيروان سنة ٥٠ه (٦٧٠م) انتشر القران وخطه بين أهل المغرب، ومنه انتقل إلى الأندلس بعد فتحها، ثم بدأت معالم استقلال المغاربة بخطهم تظهر، وأخذ الخط العربي في المغرب يتطور ذاتيا من داخله، ومن أبناء المغرب نفسه، بعيدا عن الحركة الفنية في المشرق، وأصبح الخط بعد ذلك يسمى في تلك الربوع بالخط القيرواني[٤].

وقد تطور الخط القيرواني عند أهل الأندلس وبدأ يعرف بالخط الأندلسي الذي يميل الى الليونة في حروفه[٥]، وبعد ذلك أضحى الخط الكوفي منتشرا ومستعملا بشكل كثيف في الأندلس وأصبح متطورا مع الخلفاء الأمويين، وانقسم إلى قسمين:

- الخط الكوفي الأندلسي وينتشر غالبا في الزوايا.
- الخط القرطبي الأندلسي: وهو أفضل الخطوط جمالا، يتميز باستطالات خطوطه الأفقية وسحباته السفلى، وتكثر فيه الانحناءات والاستدارات، وقد استخدم في نسخ المصاحف والكتب، وقد ساد هذا النوع من الخط حتى أواخر حكم الموحدين[٦].

وقد بلغ الأندلسيون في تذوقهم الجمالي للخطوط شوقا كبيرا لدرجة أنهم كانوا يتفننون في محتوياته ودرجات نقله على الكتب أو المصاحف، كما نجده مزخرف على

---

[١] - المقري، أحمد بن محمد التلمساني، المصدر السابق، ج١، ص٢٢٣

[٢] - ابن عساكر، أبو عبد الله ابن خميس أبو بكر، أعلام مالقة، تحقيق: الترغي عبد الله المرابط، ط١، دار الأمان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩، ص٣٥٢

[٣] - ابن سعيد الأندلسي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢، ص١٤٠

[٤] - سهى محمود بعيون، كتابة المصاحف في الأندلس، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد٧، د.ت، ص١٤٤

[٥] - كحالة عمر رضا، الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، سوريا، ١٩٧٢، ص١٧٦

[٦] - الفاروقي إسماعيل راجي، الفاروقي لوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ط١، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨، ص٥١٧

اللوحات، وعلى البيوت والمساجد ومراكز الأمراء والولاية، وقصور الحكام، وفي الكنائس والكاتدرائيات، فأصبح الأدباء والشعراء والمؤرخون والفنانون يكتبون به، فازدهرت الأندلس وتطورت العلوم، وظهر الناسخون والوراقون والمجلدون، فنجد الخليفة الحكم المستنصر بالله كان يجمع في بلاطه حذقة المجلدين والنساخين، ويصدر الآلاف من الكتب المتنوعة والمصاحف، فبدت كلها في أفضل حلة من المنمنمات والرسوم الجميلة[٧].

ويعد المصحف الشريف من المخطوطات الأولى التي خصها الفنانون بجهدهم لتجميله وزخرفته، وتطوير أساليب خطه،وطبيعي أن تكون كتابة المصاحف أول الميادين التي عمل فيها الخطاطون والمذهبون، وقد كانت العناية الفائقة بالخط سببا في تطويره على يد خطاطين فنانين تفننوا في تجميل حروفه وتقويسها ومدها، وزخرفة رؤوسها وذيولها بالأوراق والأزهار والسيقان، حتى انفرد الفن الإسلامي من بين فنون العالم أجمع بالخط الزخرفي الذي استعمل في أوسع نطاق، وفي جميع المنتجات الفنية[١]، وكان الخليفة عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين (٥٢٤-٥٥٨ه/ ١١٢٩-١١٦٢م) قد اهتم بتجليد مصحف عثمان بن عفان وأهداه الى أهل قرطبة، فكان حريصا على تجليد هذا المصحف وتحليته، وجمع لذلك الصناع والمتفنين من سائر بلاد المغرب والاندلس[٢].

وبهذه الصورة تتضح معالم الخط الأندلسي وجماليته وأناقته، ونال منه القران والأدب والكلمات المعبرة المصورة على الأبواب والأواني وحتى التي نقشت بشكل بارز على الأسقف والجدران المدن الأندلسية التي مازالت قائمة حتى يومنا هذا .

الخاتمة:

من خلال كتابتنا في هذا الموضوع، تبين أن الفن الجمالي في حضارة الأندلس قد تعدى أكثر مما هو متوقع من خلال المظاهر المختلفة لأنواع الرسومات التشكيلية التي زينت الجوامع والمساجد والقصور في قرطبة وغرناطة وتلمسان أثناء الحكم المرابطين والموحدين، خاصة تلك الأشكال التي صورت عليها الأعمدة والتيجان وتزيينها بالعقود والقباب والمقرنصات، والشيء الذي زاد من جماليتها تلك التصميمات الهندسية الرائعة التي بينت مدى تطور العلوم وعلاقتها بالفنان، أما بالنسبة للخط العربي الأندلسي هو كذلك اخذ حيزا واسعا في الفن الجمالي لأهل الأندلس نتيجة زخرفته في مختلف الأشياء

---

[٧] - سامية مصطفى سعد، الوراقة والوراقون في الأندلس، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠٠٠، صص٣٤-٤٠

[١]- سهى محمود بعيون، المرجع السابق، ص١٥١، وينظر: أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي(أصوله، فلسفته، مدارسه)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩، ص٢٥١

[٢] - سامية مصطفى سعد، المرجع السابق، ص٣٤

المادية، والاستعانة به في كتابة المصاحف ومختلف المدونات والكتب، مما أثر على فنون الحضارات الأخرى سواء في الشرق أو الغرب .

الملاحق :

جامع قرطبة

Doi: 10.12816/jnal.2019.48206

قصر الحمراء (من الداخل)

حديقة قصر الحمراء

مسجد باب المردوم باشبيلية

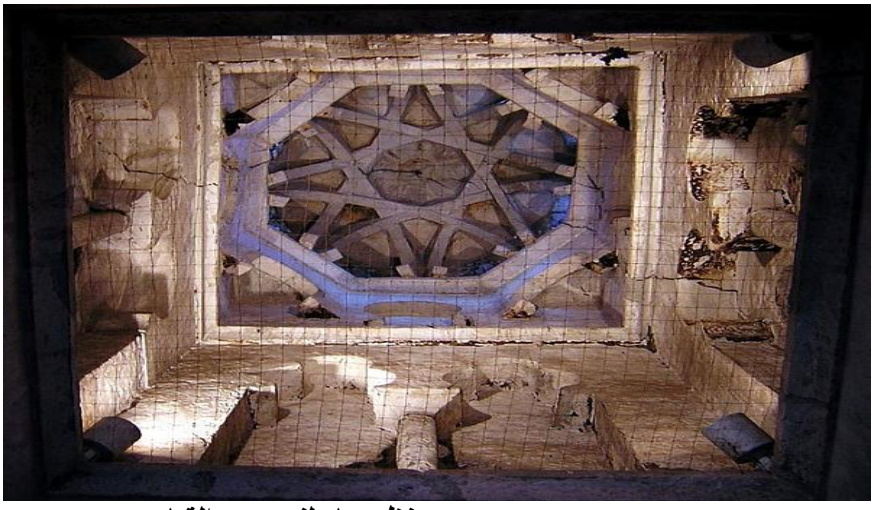

منظر عام لنوع من القباب

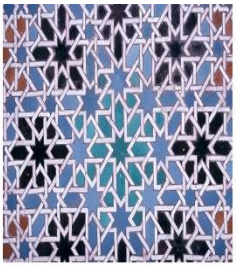

الزخرفة الهندسية

الزخرفة النباتية

الزخرفة الخطية

أنواع مختلفة من الزخرفة الاندلسية

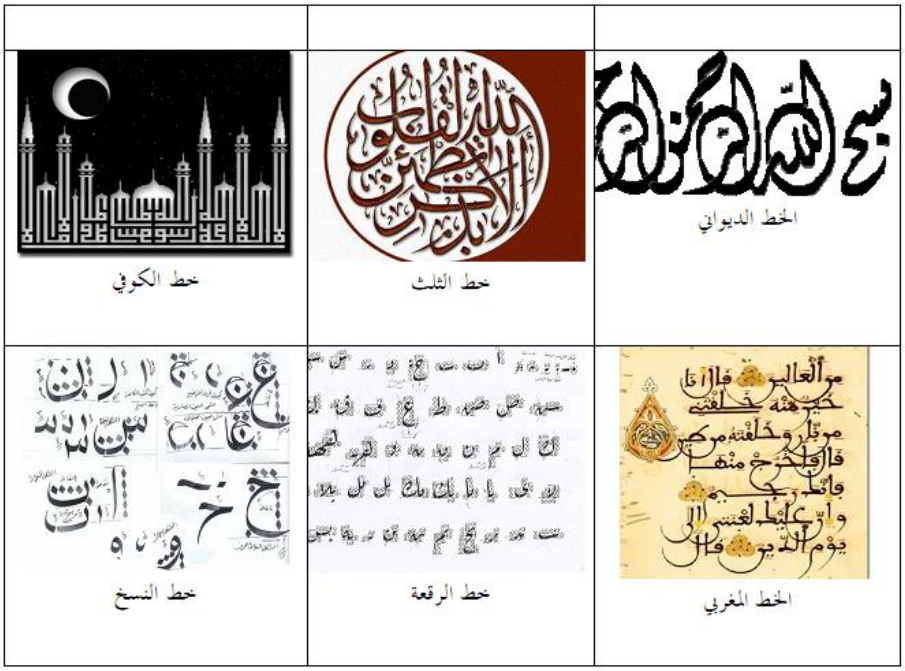

أنواع مختلفة من الخطوط العربية

قائمة المصادر والمراجع:

أ- المصادر:

١- ابن الأبار، أبو عبد الله القضاعي، الحلة السيراء، تحقيق: حسين مؤنس، ج١، القاهرة، ١٩٦٣

٢- ابن بسام، أبو الحسن الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م١، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٨

٣- ابن خاقان، أبو النصر الاشبيلي، قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، تحقيق: حسن يوسف خليوش، ط١، مكتبة المنار، الأردن، ١٩٨٩

٤– ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، ج٤، القاهرة، ١٩٦٠

٥- ابن الخطيب، لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج١، تحقيق: محمد عبد الله عنان، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٣٩٥ه،

٦- ابن عساكر، أبو عبد الله ابن خميس أبو بكر، أعلام مالقة، تحقيق: الترغي عبد الله المرابط، ط١، دار الأمان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩
٧- المقري، أحمد بن محمد التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: إحسان عباس، د.ت، دار صادر، بيروت، ١٩٨٦
٨– ابن عساكر، أبو عبد الله ابن خميس أبو بكر، أعلام مالقة، تحقيق: الترغي عبد الله المرابط، ط١، دار الأمان للنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٩
٩- ابن غازي، الروض الهنون في أخبار مكناسة الزيتون، تحيق: بن منصور عبد الوهاب، ط٣، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٩٩
١٠- ابن سعيد الأندلسي، كتاب الجغرافيا، تحقيق: إسماعيل العربي، ط٢، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٢
١١- العمري شهاب الدين أحمد بن يحي، مسالك الابصار في ممالك الأمصار، ج٤، إصدار فؤاد سزكين، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، جامعة فرانكفورت، ألمانيا، د.ت.

ب- المراجع:

١- أبو مصطفى كمال، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، د.ط، الناشر لمؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧
٢- أبو صالح الألفي، الفن الإسلامي(أصوله، فلسفته، مدارسه)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩
3- بروفنسال، الحضارة العربية باسبانيا، تحقيق: الطاهر احمد مكي، دار العالم العربي، ٢٠١٠
4- باشا أحمد فؤاد، التراث العلمي الإسلامي (الشيء من الماضي أم زاد للاتي)، ط١، سلسلة الفكر العربي للتنوير العلمي، مصر، ٢٠٠٢
5- حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس " عصر المرابطين والموحدين"، ط١، كلية العلوم، جامعة القاهرة، ١٩٨٠
6- يحي وزيري، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية، الكتاب الثاني، مكتبة مدبولي، الإسكندرية، ١٩٩٩
7- كحالة عمر رضا، الفنون الجميلة في العصور الإسلامية، المطبعة التعاونية، دمشق، سوريا، ١٩٧٢
8- لاتورنو روجيه، فاس في عصر بني مرين، ترجمة: نقولا زيادة، د.ط، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧
9- المنوني محمد، ورقات من حضارة المرينيين، د.ط، جامعة محمد الخامس، الرباط، ٢٠٠٠

10– سالم عبد العزيز، المغرب الكبير، ج٢، الإسكندرية، ١٩٦٠.
11– سالم عبد العزيز، العمارة الاسلامية في الأندلس وتطورها، عالم الفكر، م٨، العدد ٠١، الكويت، ١٩٧٧
12– سالم عبذ العزيز، مظاهر الأصالة في بنيان المسجد الجامع بقرطبة، من بحوث ندوة الحضارة الإسلامية بالإسكندرية، أكتوبر ١٩٧٦.
13– سالم عبد العزيز، تاريخ المسلمين وأثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.
14- سالم عبد العزيز، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، ج٢، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧
15- سامية مصطفى سعد، الوراقة والوراقون في الأندلس، ط١، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠٠٠
16- سهى محمود بعيون، كتابة المصاحف في الأندلس، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد٧، د.ت
17 – عنان محمد عبد الله، الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال" دراسة تاريخية أثرية"، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٩٧
18- الفاروقي إسماعيل راجي، الفاروقي لوس لمياء، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة: عبد الواحد لؤلؤة، ط١، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٨
19- غالب عبد الرحيم، موسوعة العمارة الإسلامية، ط١، جروس بروس، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.
20- Abbou(I.D), Musulmans-andalous et judou-espagnols, Casablanca, 1953 .